الفصل الرابع

القيم والأخلاق

● **أخلاق المؤمن :**

يستهدف هذا الفصل مناقشة النفس البارة .. الخيرة .. الشاكرة .. العادلة .. الأمينة .. الوفية .. أى يناقش — بمعنى آخر — القيم والمبادىء والأخلاق الحميدة .

ان المؤمنين أهل حلم وتواضع وتسامح وحياء ..

« .. الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » . (الفرقان : ٦٣)

تعرفهم بطول الصمت ، وتواصل الفكر ، وخفض الصوت ، والبعد عن الهرج والصخب .. وتعرفهم بالتأنى والاتقان والاحسان فيما يعهد اليهم من أعمال ، وتعرفهم بالدماثة ولين الطبع والصدق والوفاء والاعتدال فى كل شىء .

واذا كان لابد من اختيار صفة واحدة جامعة لطابع المؤمن لقلنا هى « السكينة » .. فالسكينة هى الصفة المفردة التى تدل على أن الانسان استطاع أن يسود مملكته الداخلية ويحكمها ويسوسها .. وهى الصفة المفردة التى تدل على انسجام عناصر النفس والتوافق بين مركباتها وانقيادها فى خضوع وسلاسة لصاحبها ، وهو أمر لا يوهب الا لمؤمن .

ونقرأ هذه السكينة فى هدوء صفحة الوجه .. ليس هدوء السطح بل هدوء العمق .. هدوء الباطن .. وليس هدوء الخواء أو سكون الخمول ، وانما هدوء التركيز والصفاء واجتماع الهمة ووضوح الرؤية .

وهذه خاصية المؤمن .. ذلك الهدوء المشع الثرى .. لماذا ؟ لأن علاقة المؤمن بما حوله علاقة متميزة مختلفة .. علاقته بالأمس والغد .. وعلاقته بالناس .. وعلاقته بالحياة والموت .. وعلاقته بعمله .. ونظرته للأخلاق .

فالأخلاق بالمعنى الواقعى وبالمعنى الفلسفى هى أن يشبع الفرد رغباته بما لا يتعارض مع حق الآخرين فى اشباع رغباتهم هم أيضا ، فهى مفهوم مادى اجتماعى بالدرجة الأولى وهدفها حسن توزيع اللذات .

أما الأخلاق بالمعنى الدينى ، فهى أن تقمع رغباتك ، وتخضع نفسك ، وتخالف هواك ، وتحكم شهواتك ، حتى تحقق ما أنت جدير به كخليفة عن الله ووارث للكون المسخر من أجلك . فمفهوم الأخلاق هنا فردى ، وهدفه أن يبلغ الفرد درجة الكمال ، وان كانت هناك ثمرة اجتماعية فانها تأتى بالتبعية .. فالمجتمع الذى يتألف من مثل هؤلاء الأفراد لابد أن يسوده الوئام والسلام المحبة .

والأخلاق بهذا المعنى خروج من عبودية النفس والاتجاه الى الخالق سبحانه .. خروج من الجزء الى الكل .. من النسبى الى المطلق .. من الرغبة فى شىء مادى الى الرغبة فى حضرة الاله حيث يجب أن تتطلع كل العيون .. وهذا لا يمكن أن يتم الا اذا تم تصحيح بصر العين ، فأصبحت ترى كل شىء بحقيقة حجمه ونسبته .

ولهذا تبدأ الأخلاق الدينية بمجاهدة الشهوات حتى تحكمها وتخضعها ، ولا تبدأ بالتسليم لها واشباعها كما فى الأخلاق الشائعة .. فهى ليست دعوة الى حسن توزيع اللذات وانما هى دعوة الى الخروج من أسر الملذات . وهكذا تفترق النظرتان تماما ، وتؤدى كل منهما الى انسان مختلف[1] .

وماأكثر ما تستولى شهوات النفس على الانسان ، فاذا هو منقادا لها ..

---

(١) مصطفى محمود ، **من أسرار القرآن** . (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١) ، ص ٤٣ — ٤٥ .

لها .. أسير فى قيد مطالبها ، لا يرى الحياة الا فى ظل هذا الأسر الذى ألفه وركن اليه . وما درى هذا الانسان أنه خليفة لله سبحانه على الأرض ، وأنه بحكم هذه الخلافة فهو خليفة على نفسه أولا ، وأنه حاكم على نفسه غير محكوم لها ، وأنها احدى القوى التى وهبها الله له ، وأن عليه تسخيرها لما فيه خيره فى دنياه وآخرته .

ومما لا شك فيه أن المادة سلطانها على الناس فى كل زمان ومكان ، وأن هذا السلطان اذا ما أطلق له العنان ، ولم يجد من يقف به عند حدوده ، طغى وبغى وأورد الانسان موارد التهلكة .. والمال وما يحققه من متع الحياة ومن جاه وسلطان ، هو القائم على كل انسان ، المتحكم فيه ، ان لم يجد من الانسان مراجعة له ونظرا فيه ووقفة معه . والله تعالى يعلم هذا السلطان للمال على النفوس ، وقد جاءت شريعته السمحاء بما يحقق للانسان التوازن بين الرغبة فى المال وبين الوقوع فى أسره ، فقال تعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » . (الكهف : ٤٦)

فالمال ، ان كان زينة ، فانما هو زينة الحياة الدنيا ، وتلك الزينة الى زوال . أما اذا كان من المال عمل صالح ، بما يخرج منه من زكاة ، ومن بر واحسان الى الوالدين وذوى القربى والجار والفقير والمسكين ، فان ذلك الى بقاء يلتقى به صاحبه فى الآخرة ، وينال به ثواب الله ورضوانه[٢] .

أما الانسان المؤمن فهو تركيب نفسى مختلف وأخلاقية مختلفة ورؤية مختلفة .. فهو يرى أن اللذات الدنيوية زائلة ، وأنها مجرد امتحان الى منازل ودرجات وراءها ، وأن الدنيا مجرد عبور الى تلك المنازل والدرجات الباقية . وأن الدنيا كالخيال ، وأن الله هو الضمان

---

(٢) عبد الكريم الخطيب : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » . **الشرق الأوسط** ، ١٩٨٣/٥/١٤ ، ص ١٥

الوحيد فى رحلة الدنيا والآخرة ، وأنه لا حاكم ولا مقدر سواه .. لو اجتمع الناس على أن يضروه لما استطاعوا أن يضروه الا بشىء كتبه الله عليه ، وان اجتمعوا على أن ينفعوه لما استطاعوا أن ينفعوه الا بشىء كتبه الله عليه .. ولهذا فهو لا يفرح لكسب ولا ييأس على خسران ، واذا دهمه مكروه قال فى نفسه :

« .. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . (البقرة : ٢١٦)

والله عنده حكيم عادل رحيم لا يقضى بالشر الا بسبب ولحكمة ولفائدة أو استحقاق عادل .. وهو لا يحسد أحدا ولا يغيظ أحدا ، بل هو مشفق على الناس مما هم فيه من غفلة ، يقول له قلبه :

« لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم ، وبئس المهاد » . (آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧)

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » .. (التوبة : ٥١)

« انما نملى لهم ليزدادوا اثماً » . (آل عمران : ١٧٨)

« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور » .

(الحديد : ٢٢ ، ٢٣)

وثمرة تلك الآيات عند المؤمن بها هى السكينة ، والهدوء النفسى ، وتطامن البال ، والثقة فى حكمة الله وعدله ورحمته . مثل هذا المؤمن كلما ترك شهوة من شهواته وجد عوضا لها حلاوة فى قلبه مما يلقى من التحرر الداخلى من أغلال نفسه ومما يجد من النور فى بصيرته . وهو يترك السعى الى الحظوظ الى الحقوق ، ويترك الدعاوى الى الأوامر .. ويترك أهواء النفس الى وجه الحق .. ويكف عن التلهف والحركة وراء الأغراض والمناصب والمغانم ويسكن الى جنب الله . وهل بعد ذلك مغنم ..

* * *

● **شمول الأخلاق فى الاسلام[٣] :**

ان الأخلاق فى الاسلام لم تدع جانبا من جونب الحياة الانسانية روحية أو جسمية ، دينية أو دنيوية ، عقلية أو انفعالية ، فردية أو اجتماعية ، الا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع • فما فرقه الناس فى مجال الأخلاق ، باسم الدين وباسم الفلسفة ، وباسم العرف أو المجتمع ، قد ضمه القانون الأخلاقى فى الاسلام فى تناسق وتكامل وزاد عليه •

وفيما يلى أمثلة لهذا الشمول :

١ ــ ان من أخلاق الاسلام ما يتعلق بالفرد فى كافة نواحيه :

(أ) جسما له ضروراته وحاجاته • بمثل قول الله تعالى :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » • (الأعراف : ٣١)

وقول الرسول ﷺ :

« ان لبدنك عليك حقا » (رواه الشيخان)

(ب) وعقلا له مواهبه وآفاقه ، يقول القرآن الكريم :

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » • (يونس : ١٠١)

« قل انما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » • (سبأ : ٤٦)

(جـ) ونفسا لها مشاعرها ودوافعها :

« ونفس وما سواها • فألهمها فجورها وتقواها • قد أفلح من زكاها • وقد خاب من دساها » • (الشمس : ٧ ــ ١٠)

٢ ــ ومن أخلاق الاسلام ما يتعلق بالأسرة :

(أ) كالعلاقة بين الزوجين :

« وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » • (النساء : ١٩)

---

(٣) يوسف القرضاوى ، **الخصائص العامة للاسلام** (ط٢) (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨١) ، ص ١٠٦ ــ ١١٠ •

(ب) وكالعلاقة بين الأبوين والأولاد :

« **ووصينا الانسان بوالديه احساناً** » . (الأحقاف : ١٥)

« **ولا تقتلوا أولادكم خشـــية املاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، ان قتلهم كان خطئـــاً كبيراً** » . (الاسراء : ٣١)

(ج) وكالعلاقة بين الأقارب والأرحام :

« **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى** » ..

(النحـــل : ٩٠)

« **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** » ..

(الاسراء : ٢٦)

٣ ــ ومن أخلاق الاسلام ما يتعلق بالمجتمع :

(أ) فى آدابه ومجاملاته ، مثل :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون** » .

(النـــور : ٢٧)

(ب) وفى اقتصاده ومعاملاته :

« **ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يســـتوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** » . (المطففين : ١ ــ ٣)

« **يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله** » .

(البقـــرة : ٢٨٢)

(ج) وفى سياسته وحكمه :

« **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** » .. (النســـاء : ٥٨)

٤ ــ ومن أخلاق الاسلام ما يتعلق بالكون الكبير :

فالكون مجال للتأمل والاعتبار والنظر والتفكر والاستدلال بما فيه من ابداع واتقان ، على وجود مبدعه وقدرته تعالى ، وعلى علمه وحكمته جلت مشـــيئته :

« ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب • الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك » ••

(آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١)

ومن حيث أنه مجال للانتفاع والاستمتاع بما أودع الله فيه من خيرات وما بث فيه من قوى مسخرة لمنفعة الانسان ، وما أسبغ فيه من نعم ، تستوجب الشكر لواهبها والمنعم بها :

« ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » •• (لقمان : ٢٠)

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله » ••

(البقرة : ١٧٢)

٥ ــ وفوق ذلك كله ما يتعلق بحق الخالق العظيم الذى له كل الحمد:

فهو وحده الحقيق بأن يحمد الحمد كله ، وأن ترجى رحمته الواسعة ، وهو وحده الذى يستحق أن يعبد وأن تطلب منه الهداية الى الصراط المستقيم :

« الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين • اياك نعبد واياك نستعين • اهدنا الصراط المستقيم » •

(الفاتحة : ٢ ــ ٦)

وبهذا يتجلى شمول الأخلاق الاسلامية ، من حيث موضوعها ومحتواها • ولكن الشمول فى الأخلاق الاسلامية يبدو كذلك اذا نظرنا الى فلسفتها ومصدر الالزام بها •

لقد شاء الله للاسلام أن يكون الرسالة العامة الخالدة ، فهو هداية الله للناس كافة ، من كل الأمم ، وكل الطبقات ، وكل الأفراد ، وكل الأجيال • والناس تختلف مواهبهم وطاقاتهم الروحية والعقلية والوجدانية ، كما تتفاوت مطامحهم وآمالهم واهتماماتهم • ولهذا جمعت الفكرة الأخلاقية فى الاسلام ما فرقته الطوائف الدينية والمذاهب الفلسفية فى نظرتها الى الأخلاق وتفسيرها لمصدر الالزام الخلقى •• فلا غرو

اذا كانت نظرة الاسلام جامعة محيطة مستوعبة ، لأنها ليست نظرية بشر .. بل وحى من أحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا .

لهذا أودع الله سبحانه فى هذا الدين الحنيف ما يشبع كل نهمة معتدلة ، وما يقنع كل ذى وجهة ، ويلائم كل تطور .. فمن كان مثاليا ينزع الى الخير لذات الخير ، وجد فى أخلاقيات الاسلام ما يرضى مثاليته . ومن كان يؤمن بمقياس السعادة ، وجد فى الفكرة الاسلامية ما يحقق سعادته وسعادة المجموع معه . ومن كان يؤمن بمقياس المنفعة ــ فردية أو اجتماعية ــ وجد فى الاسلام ما يرضى نفعيته . ومن كان يؤمن بالترقى الى الكمال ، وجد فيه ما يحقق مطلبه . ومن كان همه التكيف مع المجتمع ، وجد فى الاسلام ما يلائم اجتماعيته .. حتى الذى يؤمن بأهمية اللذة الحسية يستطيع أن يجدها فيما أعد الله للمؤمنين فى الجنة من نعيم مادى ومتاع حسى :

« .. وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » ..

(الزخرف : ٧١)

وبهذا تسمع كل أذن الأنشودة التى تحبها ، وتجد كل نفس الأمنية التى تهفو اليها .

* * *

● **سيكولوجية الأخلاق :**

لم يشهد العالم من قبل مثل ما يشهده فى عصرنا الحاضر من صراع فى الأفكار والمذاهب والاتجاهات ، سواء أكان ذلك بين الأفراد أو المجتمعات أو الدول . ولم يبلغ الصراع العالمى فى أية مرحلة تاريخية ما بلغه اليوم من حيث انتشاره وشموله . وفى الوقت ذاته نجد أن فهم الانسان للظواهر والقوانين الطبيعية قد بلغ مبلغا كبيرا . حيث ان الانسان قد قطع شوطا بعيدا فى سبيل التحكم فى العالم المادى ، فأخضع لسلطانه قوى وطاقات مادية ، فسخر الأرض والماء والهواء لخدمة أغراضه وانطلق يغزو الفضاء .

ومع ذلك ، فبالقدر الذى يزداد به تقدم الانسان فى مجال الكشف

العلمى فى ميدان العلوم الطبيعية والعالم المـادى .. بهذا القدر ذاته يزداد قلق الانسان وخوفه ويشتد ضيقه ويتعاظم تبرمه بالحياة ، كما يزداد توجسه من غيره من بنى جنسه وخوفه منهم وحقده عليهم .. ان العالم اليوم أشبه بمريض نفسى يهزه الخوف ويبدده القلق ، وكثيرا ما نجد أن سلوكه ازاء هذا الخوف والقلق يؤدى الى تدعيم الخوف والقلق ذاتهما . ان أعظم مشكلات الانسان شدة وأكثرها خطرا هو الانسان ذاته .. فمن المفارقات الغريبة فعلا أن يتقدم الانسان بهذه السرعة الخارقة فى محاولة فهم أسرار الكون ، وأن يظل فى الوقت نفسه عاجزا هذا العجز الظاهر عن فهم ذاته والتحكم فى مصيره(٤) .

وفى الوقت الذى أصبح فيه الانسان مسيطرا على الطبيعة ، نراه وقد أصبح عبدا وخاضعا للآلة التى صنعها بنفسه .

ومع كل العلم والمعرفة التى حصلها عن العالم والبيئة المـادية ، نراه جاهلا بالنسبة لكل ما يتعلق بالوجود الانسانى .. عن منشـأ الانسان وكيف ينبغى أن يعيش ، وكيف يمكن استغلال الطاقات الهائلة بداخله لاسعاد البشرية .

لقد أدت المحنة الانسانية المعاصرة الى الانحراف عن الأفكـار المستنيرة التى تؤدى وضع النظم الاجتماعية المحققة لسعادة الانسان . لقد أصبحت مفاهيم التقدم تعبر عن أوهام ، ومفهوم « الواقعية » يشير الى افتقار الثقة فى الانسان وانسانيته وتحويله الى آلة صماء تعبـد المـادة وتجرده من انسانيته وقيمه ومبادئه .

ان فكرة الاستنارة تؤدى بالانسان الى أن يثق فى قدرته على وضع معايير أخلاقية يستند اليها فى معاملاته وفى علاقاته مع أقرانه ، دون حاجة الى من يعلمه ما هو الخير وما هو الشر . ان استمرار الشك فى الاستقلال الذاتى للانسان وقدرته على التفكير الحر أدى الى وجود

---

(٤) سـيد عبد الحميد مرسى ، **العلوم السـلوكية فى مجال الادارة والانتاج** . ص ١١

حالة من الخلط والارتباك الأخلاقى أوصلت الانسان الى أن يصبح فى حالة من الضياع والفراغ المعنوى • وقد نتج عن ذلك أن تقبل الانسان وضعا نسبيا يفترض أن الأحكام والمعايير الأخلاقية هى أمور تعتمد على الاحساس الشخصى والتفضيل دون أن تحكمها مبادىء أو قيم أو مثل(٥) •

ولقد انفصل علم النفس عن علم الأخلاق حديثا • ومما لا شك فيه أن عظماء المفكرين الانسانيين فى الماضى كانوا من الفلاسفة وعلماء النفس ، وكانوا يؤمنون بأن فهم الطبيعة البشرية وفهم القيم والمعايير الأخلاقية اللازمة لحياة الانسان يعتمد كل منهما على الآخر • ومن ناحية أخرى ، نجد « فرويد » ومدرسته الفكرية اتجه اتجاها نسبيا من حيث القيم والمعايير الأخلاقية ، مما كان له تأثيرا سلبيا على كل من تطور النظرية الأخلاقية وتقدم علم النفس ذاته • وقد شذ عن هذا الاتجاه فى مدرسة التحليل النفسى « كارل يونج » ، حيث كان يرى أن علم النفس والعلاج النفسى يرتبطان بالمشكلات الفلسفية والأخلاقية للانسان(٦) •

ويرى « يونج » أن الذات هى هدف الحياة ، الهدف الذى يحاول الناس تحقيقه دائما لكنهم نادرا ما يبلغونه • وهى مثل جميع الأنماط الأولية تحرك سلوك الانسان وتدفعه نحو البحث عن الكلية وبخاصة عبر الدروب التى يقدمها الدين • ان الخبرات الدينية الحقة تصل فى اقترابها من الذات الى ما لا يصل اليه بحال معظم الناس ، وان شخصيات الأنبياء تعبر عن قدر بالغ السمو من تفاضل النمط الأولى للذات(٧) •

* * *

---

(٦) Fromm E.; **Man for Himself : An Inquiry into the Psychology of Ethics.** (New-York : Rinehart, 1947) , pp. 4-5.

(٥) Fromm E.; **Op.Cit,** p. VIII.

(٧) Jung C.; **Collected works** . Vol . 12. (New - York : Pontheon Press, 1953) , p. 219.

● **الأخلاق عند الغزالى :**

لقد كان الغزالي من المبرزين فى هذا المجال ، وكانت الدراسات الأخلاقية غير متكاملة قبل أن يتناولها بالتوضيح والتنظيم القائمين على فهم عميق بالنفس البشرية • فالذى دون علم الأخلاق وفلسفته هو الغزالى ، وهو يقوم على روح اسلامية صوفية ، وان كان قد اقتبس واستفاد من مختلف الدراسات الفلسفية فى هذا الصدد • وقد أطلق الغزالى على هذا العلم أسماء متعددة مثل : « علم طريق الآخرة » ، و « علم صفات الخلق » ، و « أسرار معاملات الدين و « أخلاق الأبرار » • وعلم الأخلاق عند الغزالى علم معاملة لا مكاشفة ، أى أنه يبحث في الأعمال ، وفيما ينبغي على المرء أن يفعله ليكون سلوكه موافقا لروح الشريعة •

وللخلق عند الغزالى معان أربعة[٨] :

١ ــ الفعل الجميل والقبيح •

٢ ــ القدرة عليهما •

٣ ــ المعرفة بهما •

٤ ــ هيئة للنفس بها تميل الى أحد الجانبين ، وتيسر عليها أحد الأمرين ، اما الحسن واما القبيح •

وقد اقتبس الغزالى نظرية الفضائل الأربعة التى نادى بها « أفلاطون » وهى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، كما نظر الى « الفضيلة » على أنها وسط بين رذيلتين متأثرا « بأرسطو » • فقال : « فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ، ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق ، بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة •• كالذى يحسن بعض أجزاء وجهة دون بعض ، وحسن القوة الغضبية ، واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة ، وحسن قوة الشهوة

---

(٨) عبد الكريم العثمان ، **الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالى بوجه خاص** . ف ١١ .

واعتـــدالها يعبر عنـــه بالعفة ، فان مالت قوة الغضب عن الاعتـــدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا ، وان مالت قوة الغضب الى طرف النقصان تسمى جبنا وخورا ، وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها ، وان مالت الى النقصان تسمى جمودا ، والجمود هو الوسط ، والطرفان رذيلتان مذمومتان • والعدل اذا فات فليس له طرف زيادة ونقصان ، بل له ضد واحد ومقابل هو الجور •• فاذن ، أمهات الأخلاق وأصولها أربعة هى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل • ونعنى بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ فى جميع الأعمال الاختيارية ، ونعنى بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على منتهى الحكمة وتضبطهما من الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ، ونعنى بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل فى اقدامها واحجامها ، ونعنى بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع ، فمن اعتدال هذه الأصول تصدر الأخلاق الجميلة كلها »[٩] •

وقد مزج هذه الفضائل بمضمون اسلامى ، وأضاف اليها مجموعة من القيم المقتبسة عن روح الاسلام ، وذلك كالرحمة والحرية والتدين والعدل لا على أساس وظيفته فى تنظيم الفضائل ولكن باعتباره وظيفة اجتماعية •

ويؤمن الغزالى بقبول الأخلاق للتغيير ، وهو ينتقد من يزعم بأن الأخلاق لا تتغير اعتمادا على أن الأخلاق مقتضى المزاج والطبع ، وأن الخلق صورة الباطن ، والمجاهدة بزعمهم لا تفيد • ويوضح الغزالى أنه ليس المقصود من تغيير الخلق استئصال الأخلاق المذمومة من النفس كما ظن البعض ، بل المقصود سلاستها وترويضها ، وذلك لفائدة الصفات الانسانية كلها للانسان • أما كيف يتم هذا التغيير فان الغزالى يشـــير الى أنه يكون على مراحل أهمها :

ـــ معرفة الأخلاق المذمومة •

ـــ وسائل العلاج العامة •

---

(٩) أبو حامد الغزالى ، **احياء علوم الدين** . ٣ : ٥٣ .

ـ طرق التعديل والعلاج الخاصة بكل نوع من أنواع الأخلاق المذمومة .

ـ معرفة الانسان عيوب نفسه .

ـ تقدير الحالة الخاصة لكل فرد على حدة .

ولخص الغزالى منهجه فى التربية الأخلاقية للطفل على صورة واجبات الوالد نحو ولده ، فيجب عليه[١٠] :

ـ تأديب ابنه وتهذيبه وتعليمه محاسن الأخلاق وحفظه من قرناء السـوء .

ـ أن لا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية ، لئلا يتعود التنعم فيعسر تقويمه بعد ذلك .

ـ اذا رأى مخايل التمييز وبوادر الحياة ، فليعلم أن عقله مشرق وأن تنمية هذه الباكورة من عزم الأمور ، وأحسن ما تنمى به أن تستعان فى تأديبه وتهـذيبه .

ـ وليعلم أن أول ما يغلب على الطفل شره الطعام ، فينبغى أن يؤدب فى ذلك ، وأن يعود أخذ الطعام بيمينه ، والبدء باسم الله .

ـ أن يعوده على اللباس المحتشم الوقور .

ـ الاعتماد فى تربيته على الثواب والعقاب . ولا يكون العقاب لكل أمر ، بل الأفضل التغاضى والتغافل عن بعض الأمور . ولا يكون العقاب علنا حتى لا تزيد جسارة الطفل .

ـ منعه من النوم نهارا ، ومن كل ما يفعله خفية فانه لا يخفى الا كل ما هو قبيح ، وتعويده على الحركة والرياضة .

ـ منعه من الافتخار على أقرانه بما يملكه هو أو والداه ، وتعويده التواضع .

ـ تعويده العطاء لا الأخذ ولو كان فقيرا .

ـ تعويده آداب السـلوك فى المجالس وآداب الحديث ونهيـه عن الثرثرة .

---

(١٠) أبو حامد الغزالى ، **احياء علوم الدين** ، ٣ : ٧٠ ـ ٧٢ .

ـ منعه من القسم صادقا أو كاذبا ، وتعويده على الصبر والاحتمال .

ـ أن يسمح له باللعب بعد الدراسة كى يتجدد نشاطه وذكاؤه ولا يستثقل العلم .

ـ تخويفه من السرقة والغش وأكل الحرام وغير ذلك من الأخلاق المذمومة .

ـ اذا بلغ سن التمييز فينبغى ألا يتساهل معه فى كل ما يحتاج اليه أمر الشرع .

* * *

● **الأخلاق الفاضلة فى القرآن والسنة :**

يحث القرآن الكريم على التحلى بالأخلاق الفاضلة واتباع الأسلوب القويم ، والابتعاد عن الشر وسوء الخلق .. وسنعرض فيما يلى بعض الآيات والأحاديث التى تبرز الأخلاق الفاضلة وتحث على اتباعها :

١ ـ العمل الصالح :

● **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ..**
(التوبة : ١٠٥)

● **« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » .** (الكهف : ٣٠)

● **« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .**
(النحل : ٩٧)

● **« ولكل درجات مما عملوا ، وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » .**
(الأحقاف : ١٩)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ « لا يقبل ايمان بلا عمل ولا عمل بلا ايمان » . (الطبرانى)

---

(١١) عز الدين بليق ، **منهاج الصالحين من احاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين** . (بيروت : دار الفتح ، ١٩٧٨) ، الباب الثالث .

ـ « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » . (البخارى)

ـ « من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له » .
(أحمـد)

٢ ـ الوفاء بالعهـد :

● « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » .. (النحـل : ٩١)

● « .. وأوفوا بالعهـد ، ان العهد كان مسئولا » .
(الاسراء : ٣٤)

● « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، ومابدلوا تبديلا » . (الأحزاب : ٢٣)

● « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » .
(الرعـد : ٢٠)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ « من كان بينه وبين قوم عهد ، فلا يحلن عهدا ، ولا يشدنه ، حتى يمضى أمده ، أو ينبذ اليهم على سواء » .
(أبو داوود والترمذى)

ـ « أيما رجل أمن رجلا على دمه ، ثم قتله ، فأنا من القاتل برىء ، وان كان المقتول كافرا » . (ابن حبان)

٣ ـ الاسـتقامة :

● « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا » ..
(هود : ١١٢)

● « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعـدون » .
(فصلت : ٣٠)

● **« ان الذين قالوا ربنـــا الله ثم اســـــتقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »** ٠ (الأحقاف : ١٣)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـــ عن أبى عمرو قال : قلت يا رسول الله ٠٠ قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ٠ قال : « قل : آمنت بالله ٠٠ ثم استقم » ٠ (مســـلم)

ـــ عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسل الله ﷺ : « قد أفلح من أخلص قلبه للايمان ، وجعل قلبه سليما ، ولسانه صادقا ، ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة » ٠ (ابن حبان)

٤ ـــ العزيمـــــة :

● **« ٠٠ فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين »** ٠ (آل عمران : ١٥٩)

● **« ٠٠ واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور »** ٠ (لقمان : ١٧)

● **« ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور »** ٠ (الشـــورى : ٤٣)

● **« فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم »** ٠٠ (الأحقاف : ٣٥)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـــ قال رسول الله ﷺ « لا يكن أحدكم امعة ، يقول : أنا مع الناس ، ان أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ٠٠ ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » ٠ (الترمذى)

ـــ عن ابن مســـعود رضى الله عنه أن رســـول الله ﷺ قال : « اعبدالله ولا تشرك به شيئا ، وزل مع القرآن أينما زال ، واقبل الحق ممن جاء به من صغير أو كبير وان كان بغيضا ، واردد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وان كان حبيبا أو قريبا » ٠

٥ ــ الشـــجاعة :

● « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشـــوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » ٠

(آل عمران : ١٧٣)

● « ٠٠ **يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** » ٠٠

(المـــائدة : ٥٤)

● « **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحـــداً الا الله ، وكفى بالله حسيباً** » ٠ (الأحزاب : ٣٩)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ــ « لا يمنعن أحـــدكم هيبـــة الناس أن يقول فى حق اذا رآه أو شهده أو سمعه » ٠ (أحمـــد)

ــ عن ابن عباس رضى الله عنهمـــا ، قال : « حســـــبنا الله ونعم الوكيل ، قالها ابراهيم ﷺ حين ألقى فى النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل » ٠ (البخارى)

٦ ــ الصـــــبر :

● « **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** » ٠ (آل عمران : ٢٠٠)

● « **انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** » ٠

(الزمـــر : ١٠)

● « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهـــدين منكم والصـــابرين ونبلوا أخباركم** » ٠ (محمـــد : ٣١)

● « **وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور** » ٠

(آل عمران : ١٨٦)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ « الصبر نصف الايمان . واليقين الايمان كله » .

(الطبرانى والبيهقى)

ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة » . (الترمذى)

ـ «ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » .

(الترمذى)

ـ عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله عز وجل قال : اذا ابتليت عبدي بحبيبتيه (عينيه) فصبر عوضته منهما الجنة » . (البخارى)

ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : مالعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة » . (البخارى)

٧ ـ التقوى والحياء والورع :

● **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون »** . (آل عمران : ١٠٢)

● **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما »** .

(الأحزاب : ٧٠ ، ٧١)

● **« .. ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب »** .. (الطلاق : ٢ ، ٣)

● **« .. ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً . ذلك أمر الله أنزله اليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً »** .

(الطلاق : ٤ ، ٥)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ « عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير ، وعليك بالجهاد فى سبيل الله فانها رهبانية المسلمين ، وعليك بذكر الله وتلاوة كتابه فانه نور لك فى الأرض وذكر لك فى السماء ، واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان » . (الطبرانى)

ـ « ان أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا » .
(أحمـد)

ـ « اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس » . (الطحاوى)

ـ « آل محمد كل تقى » . (الطبرانى البيهقى)

ـ عن عطية بن عروة السعدى الصحابى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به ، حذرا لمـا به بأس » . (الترمذى)

٨ ـ العفـو والتسـامح :

● **« ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا » .** (النسـاء : ١٤٩)

● **« ولا يأتل أولوا الفضـل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القـربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم » .** (النور : ٢٢)

● **« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهـو خير للصابرين » .** (النحل : ١٢٦)

● **« وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، انه لا يحب الظالمين » .** (الشـورى : ٤٠)

ومما روى عن رسول الله ﷺ فى العفو والتسامح :

ـ عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ، ولا امرأة ولا خادما ، الا أن يجاهد فى سبيل الله ،

وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، الا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم لله تعالى . (مسلم)

ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كأنى أنظر الى رسول الله ﷺ يحكى نبيا من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » . (متفق عليه)

٩ ـ الرحمـــة :

● **« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهمـــا كما ربيانى صـــغيراً » .** (الاسراء : ٢٤)

● **« محمد رسول الله ، والذين معه أشـــداء على الكفار رحماء بينهم » ..** (الفتح : ٢٩)

● **« .. ان رحمة الله قريب من المحسنين » .**

(الأعراف : ٥٦)

ومما روى من الحديث النبوى الشريف :

ـ « قال الله عز وجل : سبقت رحمتى غضبى » .

(مســـلم)

ـ عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . (متفق عليه)

ـ « من لا يرحم لا يرحم ، ومن لا يغفر لا يغفر له » .

(أحمـــد)

ـ « لا تنزع الرحمة الا من شقى » . (أبو داوود)

١٠ ـ العدالة فى الأقوال والأفعال :

● **« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » ..**

(الأنعام : ١٥٢)

● **« .. فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً » .**

(النســـاء : ٩)

● **« وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن » ..**

(الاسراء : ٥٣)

● **« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .** (الصف : ٢ ، ٣)

ومما روى فى الحديث النبوى الشريف :

ـ قال رسول الله ﷺ : « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » . (أحمـــد)

ـ وعن أبى عمرو رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال : « قل : آمنت بالله .. ثم استقم » . (مسلم)

* * *